

الفصل الثالث

علاقة المسلم بمجتمعه

(من خلال السورة)

اقتضت حكمة الخالق سبحانه أن يخلق الناس مجتمعين وأن يجعل الإنسان مدينيا بطبعه فلا يستطيع واحد من الناس أن يعيش وحده دون حاجة للغير وأن يستقل عن حاجة الناس، فقد قال الشعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم
ولقد أشار القرآن وأشاد بالبناء الاجتماعي القوم الذي ينسجم مع الفطرة ومع وحي الله، وفي القرآن الكريم نستطيع أن نستخلص الكثير من العظات والعبر، وهذا هو زكريا عليه السلام يشكو الوحدة ويطلب الولد والذرية ليعطيهم ويعطوه مع ما في تربية الأولاد من مشقة وتعب لكنها الطبيعة التي خلق الله الناس عليها
قال تعالى: ﴿كَهَيْعَصَ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝﴾ [سورة مريم: ١-٢] ويقول تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ...﴾ [سورة آل عمران: ٣٨] وقد طلب سيدنا إبراهيم نفس المطلب ودعا بمثل هذا الدعاء يقول تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَاهِبِينَ ۝٣٦﴾ [سورة الصافات: ٩٩] .

وإن طابع الطاعة نفسها طابعا تعاونيا فما معنى الجماعة في الصلاة وفي الجمع والأعياد؟ إن فيها دعوة للتأليف والترابط والتعاون، إن الأصل في الزكاة تعاون الناس وتراحمهم فيما بينهم وإعطاء الغني جزءا من ماله للفقير المحتاج والحق أيضا دعوة للتعارف وإيصال البر إلى قوم يسكنون في هذا المكان تحقيقا لدعوة إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ...﴾ [سورة إبراهيم: ٣٧] .

فالتعاون أساس السعادة ونظام العمران لذلك حث الشارع على هذا التعاون وحض عليه فيقول المولى جلا وعلا: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ...﴾ [سورة الحجرات: ١٣]، وقال أيضاً: ﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ...﴾ [سورة المائدة: ٢].

ولقد كانت دعوة النبي ﷺ للمسلمين إلى أن يكونوا كالبنين يشد بعضهم بعضاً وهو تعبير دقيق يعطي للتعاون معنى التكاتف وكان مصلحة المؤمن هي نفس مصلحة أخيه، لذا نراه ﷺ يقول في الحديث الشريف: "المؤمن للمؤمن كالبنين يشد بعضه بعضاً..."^(١)، ثم يدعو إلى مساعدة الآخرين والوقوف بجانب المحتاجين سواء كانت هذه الحاجة مادية أو معنوية فيقول ﷺ: "خير الناس أنفعهم للناس" ويقول أيضاً: "من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"^(٢).

يقول الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّعُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاقْسِعُوا بِسَاحِ أَلْفِ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا لِرَفْعِ اللَّهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحادثة: ١١].

وسبب نزول هذه الآية كما يقول فتادة في مجالس الذكر وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض، وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم الجمعة، وكان رسول

(١) البخاري بحاثية السندي، ج٤، كتاب باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، ص ١٥٥ مسلم، م٦، ج٦، باب تحريم الظلم، ص ١٣٩.
(٢) مسلم، م٦، ج٦، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ص ١٣٤، ١٣٥.

الله ﷺ يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين
 والأنصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال رسول
 الله ﷺ فقالوا: السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي ﷺ عليهم ثم
 سلموا على القوم ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم
 فعرف النبي ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبي ﷺ
 فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر قم يا فلان وأنت يا فلان
 وأنت يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين
 والأنصار أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهة في
 وجوههم فقال المنافقون: أستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس والله ما
 رأيتَه قد عدل على هؤلاء إن قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقاموا
 وأجلس من أبطأ عنه فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: "رحم الله رجلا يفسح لأخيه
 فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا فيفسخ القوم لإخوانهم ونزلت هذه الآية يوم
 الجمعة، وإذا صحت هذه الرواية فإنها لا تتنافى مع الأحاديث الأخرى التي تنهى
 عن أن يقيم الرجل الرجل من مكانه ليجلس فيه كما جاء في الصحيحين: "لا يقيم
 الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا"، وما ورد كذلك من
 ضرورة استقرار القادم حيث انتهى به المجلس فلا يتخطى رقاب الناس ليأخذ
 مكانا في الصدر: فالآية تحض على الإفساح للقادم ليجلس كما تحض على إطاعة
 الأمراء إذا قيل لجالس أن يرفع فيرتفع وهذا الأمر يجيء من القائد المسئول عن
 تنظيم الجماعة لا من القادم، والغرض هو إيجاد الفسحة في النفس قبل إيجاد
 الفسحة في المكان ومتى رحب القلب اتسع وتسامح واستقبل الجالس إخوانه

بالحب والسماحة فأفسح لهم في المكان عن حب وارتياح فأما رأى القائد أن هناك اعتباراً من الاعتبارات يقتضي إخلاء المكان فالطاعة يجب أن ترى عن طواعية نفس ورضى خاطر وطمانينة بال مع بقاء القواعد الكلية مرعية كذلك مع عدم تخطي الرقاب أو إقامة الرجل للرجل ليأخذ مكانه، وإنما هي السماحة والنظام يقررهما الإسلام والأدب الواجب في كل حال، ومن هذه الآداب التي اعتنى بها الإسلام من خلال هذه الآيات:

آداب المجالس:

يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَشَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا التَّجَوُّعُ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَانْفَسِحُوا وَنَحْسِكُوا فَانْفَسِحُوا وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة المجادلة: ٩-١١] .

في هذه الآيات يعلم الله عباده أدب المجالس وقد بين لهم قبل هذه الآية ما كان عليه اليهود والمنافقين في مجالسهم أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم فشكا أصحاب رسول الله ﷺ هؤلاء إليه فنهاهم النبي ﷺ فلم ينتهوا، فنادى الله عز وجل جماعة المؤمنين ألا يسلكوا مسلك هؤلاء وأن يكون تناجيبهم بالبر أي بالخير والطاعة والإحسان وألا يكون بالإثم وهو القبيح من القول أو العدوان على الغير أو المخالفة والمعصية لأمر الرسول ﷺ لأن هذا من

تزيين الشيطان، ثم أمرهم بعد ذلك أن يوسع بعضهم لبعض في المجلس، فمن أفسح لأخيه في مجلسه وأكرمه وسع الله عليه وأكرمه.

يقول ابن كثير في تفسير الآية: "أي كما يتناجى به الجهلة من كفره أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين: "وتناجوا بالبر" أي بالفرائض والطاعات، "والتقوى" أي بترك المعاصي ويحتمل أن يكون المراد بالبر الورع وبالتقوى الواجبات من صلاة وزكاة واتباع كتاب"^(١).

والمسلم حياته كلها خاضعة وتابعة للمنهج الإسلامي الذي تناول كل شأن من شئون الحياة حتى جلوس المسلم وكيفية مجالسته لإخوانه فلذا كان على المسلم أن يلتزم بالآداب التي تتمثل في النقاط التالية:

أولاً، السلام على أهل المجلس؛ وهذا أدب رفيع من آداب الإسلام ينشر المودة والتآلف بين الجالسين ومن هم قادم عليهم إذ السلام في معناه الأمن والطمأنينة، حتى إذا ما فرغ من السلام يجلس حيث انتهى به المجلس ولا يجلس بين اثنين إلا بإذنهما ولا يقيمن أحداً من يجلس فيه، قال ﷺ: "لا يقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا أو تفسحوا".

ثانياً، إذا قام أحد من مجلسه وعاد إليه فهو أحق به لقوله ﷺ: "إذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع إليه فهو أحق به"^(٢).

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فلقد علمنا نل شيء حتى في مجالسنا: "لقد كان ﷺ أكثر جلوسه أن ينصب ساقبه جميعاً ويمسك بيديه عليهما، ولم يكن

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، م ٣ ن ص ٤٦٢.
(٢) مسلم، م ٧، باب تحريم إقامة الإمتان من موضعه، ص ٤١٥.

يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس، وما روى قط ماذا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعاً لا يضيق فيه، وكان أكثر ما يجلس مستقبلاً القبلة، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبين قرابة ولا رقاع يجلس عليه وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فإن أبا أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل.

فعن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: "دخل سلمان على عمر وهو متكئ على وسادة فآلقها له فقال سلمان: الله أكبر، صدق الله ورسوله، فقال عمر: حدثنا يا أبا عبد الله، فقال سلمان: دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكئ على وسادة، فآلقها إلي ثم قال: يا سلمان ما من مسلم دخل على أخيه المسلم، فيلقي له الوسادة إكراماً له إلا غفر الله له"، وعن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس احتبى بثوبه، وعن أبي أمامه الحارثي قال: "كان رسول الله ﷺ إذا جلس جلس القرفصاء"^(١).

ومن الكبر أن يجلس الإنسان في وسط الحلقة لقول حذيفة أن الرسول ﷺ لعن من جلس في وسط الحلقة.

ثالثاً: أن يراعى في مجلسه شعور إخوانه لأن مخالفة المسلم لهذه الآداب فيها إيذاء لمشاعر إخوانه وهو ما نهى عنه النبي ﷺ في قوله: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" بمعنى ألا يكذب الإنسان في حديثه من أجل أن يضحك الآخرين مثلاً قال ﷺ "ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به الناس

(١) الأصفهاني، أخلاق النبي وأدابه، تحقيق أحمد محمد مرسى ومراجعة محمد عبد الرحمن عثمان، مؤسسة الأهرام، ص ٢٦٤.

فيكذب، ويل له ويل له ويل له"، وألا يكثر من مدح بعض الجالسين رياء ونفاقا، فقد نهى الرسول ﷺ عن هذا الأمر. فعن أبي هريرة أنه قال: "أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثو في وجوه المداحين التراب".

ويجب على المسلم كذلك أن ينصت إلى غيره حيث يتحدث وألا يقاطع الكلام وألا يظهر عدم اهتمامه بحديث غيره، وكذلك يجب عليه ألا يتكلم فيما لا يعنيه، قال ﷺ: "من حسن السلام المرء تركه مالا يعنيه". كذلك فإن الفضول من الصفات غير مستحب في المجالس قال ﷺ: "طوي لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله" وعلى المسلم ألا يخوض في حديثه في الباطل لقول الرسول ﷺ: "أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل".

ومن آفات اللسان التي يجب على المسلم تركها في مجلسه مع إخوانه المرء والجدال وهما صفتان مذمومتان قال ﷺ: "لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه"، وكذلك يجذب على المسلم في مجلسه ألا يتعمر في الكلام بالتشدد وتكلف السجع والفصاحة وكذلك الفحش والسب وبذاءة اللسان، قال ﷺ: "إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش والتفحش"، ويجب على المسلم الابتعاد عن اللعن لقول الرسول ﷺ: المؤمن ليس بلعان".

ومن الأشياء التي يجب أن يراعيها المسلم عند حديثه في مجلسه مع إخوانه عدم السخرية والاستهزاء، قال ﷺ: "من عبر أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمل" كذلك فإن ما يجب على المسلم مراعاته في حديثه هي الغيبة وهي من أعظم المحرمات والذنوب قال ﷺ: "إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا..." والنميمة

كذلك لا تقل سوءاً عن الغيبة، قال رَبِّي: "لا يدخل الجنة فنام"^(١)، وهذا لون من أدب الحديث في المجلس وامتثالاً لتعاليم الله سبحانه وتعالى حيث قال: "وتناجوا بالبر والتقوى".

رابعاً: آداب الجلوس في الطرقات:

أ - **غَضُّ الْبَصَرِ**: فلا يفتح بصره في مارة من المؤمنات أو واقفه ببابها أو مستشرفة على شرفات منزلها أو مطلة على نافذتها لحاجتها كما لا يرسل نظره حاسداً لأحد وزارياً على أحد وليس معنى غض البصر أن يجلس الشخص مغمض العينين لأن مراد الإسلام من وراء ذلك أن يحفظ على الإنسان نفسه فمن سرح ناظره أتعب خاطره ومن كثرت نظراته ضاعت أوقاته، وقد أمر الله تبارك وتعالى المؤمنين بالغض من أبصارهم في قوله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (سورة النور: ٣٠)، وفي الحديث القدسي: "النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتني أبدلتها إيماناً يجد حالاته في قلبه"^(٢).

ب - **كَفُّ الْأَذَى**: لقد مدح الرسول رَبِّي أصنافاً من الناس كفوا أيديهم عن أذى المسلمين وضمن الرسول رَبِّي لهم الجنة فقال رَبِّي: "اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، م ٣؛ كتاب أفات اللسان، خرجه الإمام العراقي، وابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه للطبراني، ج ٨، ص ٦٣، وقال عبدالله بن اسحق ضعيف.

إذا وعدتم، وأدوا إذا أوتمنتم، واحفظوا فروجكم، وعضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم^(١) ومعنى ومعنى كف الأذى ألا يؤذى أحدا بلسانه سابا أو شاتما أو عاتبا مقبحا ولا بيده ضاربا ولا سالبا لمال غيره غاصبا ولا معترضا في الطريق صادًا المارة قاطعا سبيلهم.

ج - رد السلام: أن يرد سلام كل من سلم عليه من المارة إذ أن رد السلام واجب لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ﴾ [سورة النساء: ٨٦] .

د - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: والمعنى إذا شاهد المسلم في مجلسه معروفا قد أهمل شأنه فعليه الأمر بالمعروف مثل ذلك إذا نودي للصلاة ولم يجب الحاضرون وجب عليه أن يأمرهم بإجابة المنادي للصلاة، ولا يغيب عنه قول الرسول ﷺ: "لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"^(٢)، وكذلك يجب عليه إذا شاهد منكرا أمامه كأن رأى شخصا بغى على أخيه فسلبه ماله أو ضربه فعليه حينئذ أن ينهيه في حدود طاقته إذ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة كل مسلم.

هـ - أن يرشد الضال: لو استرشد أحد في بيان منزل أو هداية طريق أو تعريف بأحد من الناس لوجب عليه أن يبين له المنزل أو يهديه الطريق كل هذا من آداب الجلوس في الطرقات وذلك لقول الرسول ﷺ:

(١) مسلم بشرح النووي، م ١٠١، ص ٣٨٩، باب بيان غلظ تحريم النميمة.
(٢) البخاري، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي الناس على الإسلام والنبوة، ج ١٢، ص ١٢.

"إياكم والجلوس على الطرقات، فقالوا: مالنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقها، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"^(١).

آداب مجالس العلم:

لقد عقب الله عز وجل بعد أمره المؤمنين بالتوسع في المجالس بيانه لنزلة العلماء وأن الرفعة عند الله بالعلم والإيمان لا بالسبق إلى صدور المجالس: "يرفع الله الذين آمنوا منكم" جواب الأمر كأنه قيل: إن تنشروا يرفع عز وجل المؤمنين منكم في الآخرة جزاء للامتثال "والذين أتوا العلم" الشرعي "درجات" أي كثيرة جليلة كما يشعر به المقام، وعطف "الذين أتوا العلم" على "الذين آمنوا" بين عطف الخاص على العام تعظيما لهم بعدهم كأنهم جنس آخر ولذا أعيد الموصول في النظم الكريم"^(٢).

منزلة العلم والعلماء: لقد اهتم الإسلام بالعلم اهتماما كبيرا لم يسبقه إليه دين قبله ولا أدل على ذلك من أن أول آية نزلت في القرآن الكريم كانت دعوة إلى العلم يقول تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق: ١]، ولم يكن الأمر في هذه الآية لمجرد المصادفة ولكنه دليل على اهتمام الإسلام بالعلم منذ بداية ظهوره.

(١) البخاري بحاشية السندي، ج٤، كتاب الاستئذان، باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا...﴾

[سورة النور: ٢٧] ص ٨٦.

(٢) الألويسي البغدادي، روح المعاني، م ١٥٥، دار الفكر، ص ٤١، ٤٢.

شرف العلم: "العلم من حيث هو نور وهداية للمذنبين يهتدى به ولذا يصل به القرآن إلى نروة التشريف والتكريم ويبلغ به أسمى المراتب والغايات ويعلق به كل خير واستقامة ويجعله مفتاح كل صلاح وفلاح ومرقاة إلى الدرجات العلا في الدنيا والآخرة وبيان ذلك: أن العلم صفة لله تعالى، وهو قرين نعمة الخلق، وهو أبرز امتياز لأدم على الملائكة وأول القرآن نزولا وهو وصف لإكرام الخلق وغاية التشريف لأهله"^(١).

فضيلة العلم من القرآن والسنة:

قال تعالى ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ... ﴾ [سورة آل عمران: ١٨] ، وقال تعالى: ﴿ ... يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ... ﴾ [سورة المجادلة: ١١] ، وقال تعالى: ﴿ ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... ﴾ [سورة الزمر: ٩] ، وقال تعالى: ﴿ ... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ... ﴾ [سورة فاطر: ٢٨] .

ويقول الرسول ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء"، وقال ﷺ: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده". وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لكميل: يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق"، وقال علي أيضا عليه السلام: "العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم تلم الإسلام تلمة لا يسدها إلا خلف منه"^(٢).

(١) عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص ١٨٩.
(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٧.

وحسبنا أن نعلم أن رسول الله ﷺ قد جعل من فداء المشركين في بدر أن يعلم أحدهم من الأسرة عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة عملا على محو الأمية عن الأمة، ولم يسو الله بين العلماء والجاهلين فقال تبارك وتعالى: ﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ﴾ [سورة الزمزم: ٩].

ولقد عرف الصحافة فضل العلماء وقدرهم فقد روى أن زيد بن ثابت صلى على جنازة أمه، ثم قربت له بغلة ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه، فقال زيد: خل عنك يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس: هكذا نفعل بعلمائنا، فقبل زيد يده وقال: وهكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ.

فضيلة التعلم: لم يكتف القرآن الكريم بتقرير شرف العلم والعلماء أو بيان منزلته ومنزلتهم من الفضل وإنما كلفنا بالعلم وحثنا على طلبه وتحصيله تارة على سبيل الأمر والإلزام وتارة على سبيل الندب والاختيار حسب نوع العلم وموضوعه ونهانا عن بعض ضروب العلم الضارة، لذلك قال الرسول ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" وقال تعالى: ﴿... فَلَوْلَا نَفْرَمِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّسَفَقَهُوا فِي الدِّينِ...﴾ [سورة التوبة: ١٢٢] وقال ﷺ: "من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة"، ومن الأقوال المأثورة: قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "لأن أتعلم مسألة أحب إلى من قيام ليلة"، وقال الشافعي رضي الله عنه: "طلب العلم أفضل من النافلة".

ولم يفرق الإسلام بين علم الدنيا وعلم الدين، بل أوصى بها جميعا وجمع علوم الكون في آية واحدة وحث عليها وجعل العلم بها سبيل خشيته وطريق معرفته فذلك قوله تعالى: ﴿...الَّذِينَ تَرَأَى اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾ [سورة فاطر: ٢٧]، وفي ذلك

إشارة إلى الهيئته والفلك وارتباط السماء بالأرض، ثم قال تعالى: ﴿... فَأَخْرَجْنَا بِهِ
شَرَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا...﴾ [سورة ناطر: ٢٧] وفي ذلك إشارة إلى علم النبات وعرائبه
وعجائبه وكيميائه ﴿... وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيُّ
سُوْدٌ﴾ [سورة ناطر: ٢٧]، وفي ذلك إشارة إلى علم الجيولوجيا وطبقات الأرض
وأدوارها: ﴿... وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ...﴾ [سورة
ناطر: ٢٨]، وفيه إشارة إلى علم البيولوجيا والحيوان بأقسامه من إنسان وحشرات
وبهائم، فهل ترى هذه الآية غادرت شيئاً من علوم الكون، ثم يردف ذلك كله بقوله:
﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...﴾ [سورة ناطر: ٢٨] .

دور الداعية في نشر العلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه، "أنه من بسوق
المدينة فوقف عليها فقال: يا أهل السوق ما أعجزكم قالوا وما ذاك يا أبا هريرة، قال:
ذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم وأنتم ها هنا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه
قالوا: وأين هو؟ قال في المسجد، فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا
فقال لهم: مالكم، فقالوا يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئاً
يقسم، فقال لهم أبو هريرة وما رأيتم في المسجد أحداً، قالوا بلى رأينا قوما يصلون
وقوما يقرءون القرآن وقوما يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم
فداك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم"^(١)، ويذكرنا موقف سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه في
حثة التجار على طلب العلم بما يكون عليه حال الدعاة في نشرهم العلم إذ أن
أبا هريرة رضي الله عنه كان تلميذاً نجيباً من تلاميذ الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما تخرج من
مدرسته صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك أستاذاً يقتدى به ويستفاد بعلمه، وهو في هذا الحوار

(١) الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، ج ١، كتاب العلم، ص ٦١، ونسبه للطبراني في الأرسط بإسناد
حسن.

الذي دار بينه وبين التجار في السوق يعلمنا كيف تكون الدعوة إلى الله تعالى وكيف يكون الوعظ بالحكمة والموعظة الحسنة، وما أحوج الداعية إلى أن يتعلم من أبي هريرة هذا الدرس المستفاد الذي لو طبقه كل داعية لانتشر العلم النافع في كل مكان وكان الإقبال على مجالسه أكثر بكثير من هذا الإقبال الذي نراه في زماننا هذا.

آداب المعلم والمتعلم: آداب المعلم:

أ - التطبيق العملي: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ... ﴾

[سورة التوبة: ١٠٥].

ب - البلاغ والبيان: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ... ﴾ [سورة البقرة: ١٥٩].

ج - لزوم الصبر والحلم: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْمَرْفِ... ﴾

[سورة الأعراف: ١٩٩].

د - التواضع ولين الجانب:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا... ﴾ [سورة الفرقان: ٦٣].

هـ - الترفع عن مجالس اللهو واللغو: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ... ﴾

[سورة القصص: ٥٥].

و - الاستزادة من العلم: ﴿... وَلَا تَجَلْ بِالْقُرْآنِ... ﴾

[سورة طه: ١١٤].

آداب المتعلم:

أ - الاستعانة بالله في طلب العلم: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ... ﴾ [سورة العلق: ١].

ب - الرجوع إلى العلماء في أخذ العلم: ﴿... فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ... ﴾

[سورة النحل: ٤٣].

ج - التزام آداب المجالس العلمية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَحُوا... ﴾ [سورة المجادلة: ١١].

د - تخير الألفاظ الحسنة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ... ﴾ [سورة الحجرات: ١٢].

ومن آداب المتعلم مع من يعلمه: أن يتأدب معه ويبجله في خطابه وجوابه ونحو ذلك، ولا يومئ بيده في وجهه، ولا يقل له ما تحفظ في كذا؟ وما مذهب إمامك؟ أو ما مذهب الشافعي في كذا وإذا أجابه لا يقل هكذا قلت أنا، أو كذا وقع لي، ولا يقل أفتاني فلان، أو غيرك بكذا، أو يقل أن جوابك موفق لأكتب وإلا فلا أكتب.

ويرتبط بهذه الآية الكريمة التالية لها وهي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنِ اللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة المجادلة: ١٢]، وقد عمل بهذه الآية الإمام علي كرم الله وجهه فكان معه كما روى عنه دينار فصرفه دراهم وكان كلما أريد خلوة برسول الله ﷺ لأمر تصدق بدرهم ولكن الأمر شق على المسلمين وعلم الله ذلك منهم وكان الأمر قد أدى غايته وأشعرهم بقيمة الخلوة التي يطلبونها فخفف الله عنهم ونزلت الآية التالية برفع التكليف وتوجيهه إلى العبادات والطاعات المصلحة للقلوب، ويقول تعالى: ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذ لَّمْ تَفْعَلُوا نَآبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؕ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة المجادلة: ١٣] وهنا نجد لونا من ألوان الجهود التربوية لإعداد هذه الجماعة المسلمة في الصغير والكبير من شئون الشعور والسلوك.

ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الآية ترتبط ارتباطا وثيقا بالآيات التي قبلها
 داني يقول الله تعالى فيها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَسْمَعُوا بِالْإِنْمِرِ وَالْمُدُونِ
 وَمَعْصِبَتِ الرُّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبُرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ
 الشَّيْطَانِ لِيَحْزُبَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ (سورة المائدة ٩-١٠). فهذه الآيات الكريمة ينهى الله تعالى فيها عباده
 المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر وهو المناجاة بالإثم والعدوان ومعصية
 الرسول ﷺ. وكان من لطف الله لعباده أن يتبعها بالآيات التي من شأنها يصير
 سببا لزيادة المحبة والمودة بين المسلمين، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَعَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا
 فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
 ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ
 وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ مَا أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذَا
 لَم تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
 تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ (سورة المائدة ١١-١٣)، فلقد نادى الله في هذه الآيات جماعة المؤمنين
 أن يوسع بعضهم لبعض في أي مجلس من المجالس فإذا ما امتثلوا لهذا الأمر وسع
 الله عليهم لا في المجالس وحدها بل يوسع الله عليهم في أرزاقهم وهذا تعليم من الله
 عز وجل بأن من وسع على عباد الله أبواب الخير والراحة وسع الله عليه خيرات
 الدنيا والآخرة، ثم بين الله سبحانه وتعالى بعد ذلك أنه حتى إذا أمرهم بالنهوض
 من المكان كله للإفراح لغيرهم فعليهم الطاعة وتكون الحالة الرفعة في الدرجات
 يوم القيامة لهؤلاء الذين يعلمون أوامر الله ويعملون بها، ويؤكد ذلك الإمام الطبري،

في تفسيره للأية حيث يقول إن النشور يكون: "إلى كل خير: قتال عدو أو أمر بالمعروف أو الصلاة أو حق ما كان".

إن هذا التوجيه الإلهي ليبرز لنا صورة من صور التأخي في الله وما تقتضيه هذه الأخوة من المحبة والتواد والبعد عن التدابر والتشاحن والتباغض، وانطلاقاً من هذا التوجيه يجدر بنا التحدث عن مفهوم الأخوة بصفة عامة، فالأخوة مصدر للفعل آخى وأخى فلان فلانا أخوة أي اتخذها أخاً وكذلك أخاه مؤاخاة، والأخ هو من جمعك وإياه صلب - أي كان أخاً شقيقاً أو أخاً لأب - أو هو من جمعك وإياه بطن - أي كان أخاً لأم أو من جمعك وإياه رضاعة من امرأة واحدة فهو أخ من الرضاعة، والأخ: الشريك - والأخ: الصديق - والأخ: من يتوخى مذهب أخيه أي يقصده.

والأخوة في الله منحه قدسية وإشراقه ربانية ونعمة إلهية يقذفها الله عز وجل في قلوب المخلصين من عباده، والأصفياء من أوليائه والأتقياء من خلقه، فيقول الله عز وجل: ﴿...لَوْ أَنْفَقْتَ مِافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِرَبِّكَ قُلُوبَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ...﴾ [سورة الأنفال: ٦٣]، ويقول تعالى: ﴿...وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا...﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣]، ولذا كانت الأخوة في الله صفة ملازمة للإيمان، وخصلة مرافقة للتقوى، إذ لا أخوة بدون إيمان، ولا إيمان بدون أخوة، كما أنه لا صداقة بلا تقوى، ولا تقوى بلا صداقة^(١).

(١) عبدالله ناصح علوان، الأخوة الإسلامية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٥٠.

المواخاة في الإسلام:

أما مبدأ الإخاء البشري العام فقد قرره الإسلام بناء على أن البشر جميعاً أبناء رجل واحد وامرأة واحدة، ضمتهم هذه البنية الواحدة المشتركة والرحم الواصلة. ولهذا قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَظَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...﴾ [سورة الساء: ١]. وما أحق كلمة الأرحام المذكورة في هذه الآية أن تفسر بحيث تشمل بعمومها الرحم الإنسانية العامة لتنسق مع بداية الخطاب "بأيها الناس" ومع ذكر النفس الواحدة التي خلق الله منها جميع الناس رجالاً ونساءً وهي نفس آدم ﷺ وعطفها على لفظ الجلالة "الله" في هذا المقام يدل على أن لهذه الأرحام شأن أي شأن وقد كان رسول الله ﷺ يقرر هذا المبدأ ويؤكداه كل يوم أبلغ تأكيد وأوثقه، فقد روى أن رسول الله ﷺ كان يقول دبر كل صلاة: "اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، أنا شهيد أنك الله وحدك ولا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أن محمداً عبدك ورسولك، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة"، وبهذا الدعاء كان يناجي رسول الله ﷺ ربه بعد كل صلاة، وأنه ليدلنا أوضح دلالة على قيمة الإخاء البشري في رسالة الإسلام.

وإن الإخاء الديني المتفرع عن الإيمان والعقيدة المشتركة لا يضعف الإخاء العام بل يشده وبقويه ويجعل له في الواقع الناس كتلة حية ملموسة تؤمن به وتطبقه وتدعو إليه وتدافع عنه فلا تنافي إذن بين الإخاء البشري العام وبين الإخاء الديني الذي نلمسه في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ [سورة الحجرات: ١٠] وقوله ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه..."^(١).

(١) مسلم، م، ٦، ج١، ١٦، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، ص ١٣٤، ١٣٥.

وكانت البداية للإخاء الإسلامي في مكة لتوثيق العلاقة والروابط بين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي عن طريق المشاركة الوجدانية والزكاة التي كان يدفعها الأثرياء دون حد أدنى لتحرير الإماء والرقيق المسلمين من أيدي مشركي مكة، أما البداية الحقيقية للموسسة فكانت في المدينة حينما هاجر الرسول ﷺ وبدأ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والمؤاخاة بين الأوس والخزرج وسموا بالأنصار واندمج الجميع في مجتمع إسلامي واحد، وقد أشاد الله بهذه الصورة في قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾ [سورة الحشر: ٩].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قدم عبد الرحمن بن عوف فأخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن ينافسه أهله وماله؟ فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك دلني على السوق... فربح شيئا من أقط وسمن فراه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة فقال النبي ﷺ: مهيم يا عبد الرحمن، قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار، قال: فما سقت إليها؟ قال: نواة من ذهب. فقال النبي ﷺ: أولم ولو بشاة^(١).

وترجع أهمية هذا الإخاء الذي قام به الرسول ﷺ إلى:

أولاً، إن أي دولة لا يمكن أن تنهض وتقوم إلا على أساس من وحدة الأمة وتساندها ولا يمكن لكل من الوحدة والتساند أن يتم بغير عامل التآخي والمحبة المتبادلة فكل جماعة لا تؤلف بينها أصرة المودة والتآخي

(١) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار، ج ١٤، ص ٦٦٤.

الحقيقية ولا يمكن أن تتحد حول مبدأ ما وما لم يكن الاتحاد حقيقة قائمة في الأمة أو الجماعة فلا يمكن أن تتألف منها دولة.

ثانياً: إن المجتمع - أي مجتمع - إنما يختلف عن مجموعة ما من الناس منثائرة متفككة بشيء واحد هو قيام مبدأ التعاون والتناصر فيما بين أشخاص هذا المجتمع، وفي كل نواحي الحياة ومقوماتها فإن كان هذا التعاون والتناصر قائماً طبق ميزان العدل والمساواة فيما بينهم فذلك هو المجتمع العادل السليم وإن كان ذلك قائماً على الحيف والظلم فذلك هو المجتمع الظالم والمنحرف.

ثالثاً: لم يكن ما أقامه الرسول ﷺ بين أصحابه من مبدأ التآخي مجرد شعار في كلمة أجراها على أسننتهم وإنما كان حقيقة عملية تتصل بواقع الحياة وبكل أوجه العلاقات القائمة بين الأنصار والمهاجرين، ولذلك جعل النبي ﷺ من هذه الأخوة مسئولية حقيقة تشيع بين هؤلاء الأخوة وكانت هذه المسئولية تؤدي فيما بينهم على خير وجه.

فضل الأخوة ومكانتها:

إن حرص الرسول ﷺ على إرساء مبدأ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ثم بين المسلمين بعد ذلك بصفة عامة ليدلنا على عظمة هذا المبدأ لذلك إذا تدبرنا آيات القرآن الكريم التي تحت على هذا الإخاء والأحاديث النبوية الشريفة التي تحض على إرساء هذا المبدأ وتطبيقه بين المسلمين لرأينا مدى عظمة هذا الإخاء وفضله في توحيد الأمة الإسلامية.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣] ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا...﴾ [سورة الحشر: ١٠]. ويقول تعالى: ﴿...الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ...﴾ [سورة الحشر: ٨]. وفي قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ...﴾ [سورة الحشر: ٩]. ويقول سبحانه: ﴿وَيَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّك بِبَعْضِ الظَّنِّ إِنَّتُمْ...﴾ [سورة الحجرات: ١٢]. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ [سورة الحجرات: ١٠]. ويقول تعالى: ﴿...وَأَذْكُرُوا يَمَعَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا...﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣]. ويقول تعالى: ﴿...لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَنْ كَانَ اللَّهُ أَلْفَ يَتِيمَةٍ...﴾ [سورة الأنفال: ٦٣].

وترجع نعمة الأخوة إلى أنها خالطت القلوب وأحالتها إلى مزاج من الحب والألفة ومودات القلوب وتؤدي إلى الولاء والتناصر والسماحة والهوادة، يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنَقَّلِينَ﴾ [سورة البقر: ١٧]. ويقول رسول الله ﷺ: "إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لكانتهم عند الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا في روح الله بينهم على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، والله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس"، ويؤكد الله تعالى على ضرورة الاعتصام والأخوة فيقول تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

درجات الأخوة وشروطها في الإسلام:

من درجات الأخوة "التعارف" ومعناه أن يتعارف الناس بعضهم ببعض، والتعارف بين المسلمين استجابة لأمر الله تبارك وتعالى في الآية الكريمة **يَأْتِيَا النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ...** ﴿سورة الحجرات: ١٣﴾. وذلك يتطلب أن يعرف المسلم أخاه المسلم اسمه ونسبه وظروفه الاجتماعية، بل يعرف ما يحب وما يكره حتى يعينه إذا أحسن ويستغفر له إذا أذنب ويدعوه بالخير إذا أذبر ويحبه إذا تاب وتلك من حقوق المسلم على أخيه المسلم كما ورد ذلك في السنة النبوية المطهرة: روى الديلمي بسنده عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **ﷺ**: "أربع من حق المسلمين عليك، أن تعين محسنهم وأن تستغفر لذنبهم، وأن تدعو لمديبرهم وأن تحب تائبهم".

التألف: وهو أن يالف المسلم أخاه المسلم أو يألف الناس بعضهم بعضا وقد امن الله على المؤمنين بأن ألف بين قلوبهم فقال عز وجل: ﴿... وَأَذْكُرُوا بِرَحْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ...﴾ ﴿سورة آل عمران: ١٠٣﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَيْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ...﴾ ﴿سورة الأنفال: ٦٣﴾.

التفاهم: هو أن يتفاهم المسلم مع أخيه المسلم على الأصول الكبرى في الإسلام أولا ثم على بعض ما يتفرع عن هذه الأصول من مسائل وقضايا يحتاج فيها إلى التفاهم وتلك الأصول التي يجب أن يتفاهم عليها المسلمون وهي الاعتصام بالله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ، فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمًا﴾ ﴿سورة النساء: ١٧٥﴾.

وقال جل شأنه: ﴿...وَمَنْ يَتَّصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة آل عمران: ١٠١] .
والقرآن الكريم هو حبل الله الذي يربط بين هؤلاء المتأخين.

الرعاية، والتفقد: وهي أن يرمى الأخ أخاه ويتابعه ويتفقد ظروفه ليبادر بتقديم العون له دون أن يسأله أخوه العون لأن ذلك من حق أخيه عليه، والأصل الإسلامي في وجوب الرعاية والتفقد هو ما رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"^(١).

ومن رعاية المسلم لأخيه المسلم أن يعمل ما يوسع على أن يفرج همه إذا أصابه هم وأن ييسر له ما عسر عليه من الأمور وأن يستره وأن يعينه في قضاء حوائجه، روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة"^(٢). ومن رعاية المسلم لأخيه أن يؤدي نحوه الحقوق التي أوجبها الإسلام، روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حق المسلم على المسلم ست قيل ما هن يا رسول الله؟ قال: "إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عدس فحمد الله فشتمه، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه"^(٣).

التعاون: وهو الموازنة والتظاهر، وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعونة على فعل الخيرات وهو البر وترك المنكرات وهو التقوى، فيقول الله تعالى:

(١) البخاري بحاشية السندي، ج١، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه، ص ١٢.
(٢) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ج٤، ص ٢٠٧.
(٣) مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم الصلوة، ج٤، ص ١٤٣.

﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ...﴾ [سورة المائدة: ٢] . والتعاون ثمرة للتفقد والرعاية وهو يشد من أزر الروابط بين الأخوة في الإسلام ويدعم أسسها وقواعدها.

التناصر: وهو نوع من التعاون ولكنه أعمق منه وأشمل وأكثر دلالة على الموالاة والمحبة والتناصر بين الأخوين في الإسلام يعني أموراً كثيرة، فالأخ لا يسلم أخاه لشر أو مكروه ولا يخذله في موقف له فيه حق أو مصلحة لا يضر الحصول عليها بآخرين، وأن يأخذ الأخ بيد أخيه فينصره على شيطانه الذي يوسوس له بالشر وينصره على نفسه وما تهجس به من هواجس وأوهام تدعوه إلى التقاعس على فعل الخير، وأن ينصره على كل من يقل عقبة في طريق الحق والهدى والدعوة إلى الله، وأن ينصره ظالماً أو مظلوماً ينصره ظالماً بأن يمنعه من الظلم وممارسته وينصره مظلوماً بأن يعمل على رفع الظلم عنه، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله..."^(١).

ومن شروط الأخوة^(٢): "العقل" فلا خير في صحبة الأحمق، حيث إن الفهم والتفاهم مطلوب في الأخوة. "وحسن الخلق" لتقويم الأخلاق وإدراك الأشياء والابتعاد عن الغضب والشهوات، "وأن يكون غير فاسق" فالفاسق المصّر على الفسق فلا فائدة في صحبته لأن من يخاف الله لا يصبر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الأغراض، قال تعالى: ﴿... وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ...﴾ [سورة الكهف: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿... وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ...﴾ [سورة لقمان: ١٥] .

(١) مسلم، ٦م، ١٦٦، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ص ١٣٤، ١٣٥.
(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٢، المكتبة التجارية الكبرى، كتاب الأخوة في الله.

"والأولى يكون مبتدعا": فالمبتدع في صحبته خطر سراية البدعة وتعددي شؤمها إليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته؟ وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال: "عليك بإخوان الصديق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولا أمين إلا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره، ولا تطلعه على أمرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى".

"والأولى يكون حريصا على الدنيا" فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والافتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص وبحالة الزاهد تزهد في الدنيا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستجيب صحبة الراغبين في الآخرة، قال لقمان: "يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب لتحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل القطر".

حقوق الأخوة في الإسلام ومنها السلام :

وهو من الحقوق التي توثق علاقة المسلم بأخيه المسلم وتقوى من رباط الأخوة وتسد الثغرات التي ينفذ منها الشيطان لتقويض عرى الأخوة: يقول رسول الله ﷺ: "حق المسلم على المسلم ست إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشتمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه"^(١)، "إن السلام من تحيات الملائكة والنبيين وشعار التلاقي في الجنة، وإن

(١) مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، ج١، ص ١٤٣.

السلام من أسباب علو المنزلة ورفعة الشأن لأن النفوس المتصافية تزداد المودة والألفة فيما بينها ولا أدل على التصافي من انتشار السلام ففي إفشاء السلام تأمين وحشة المسلم واطمئنان قلبه إليك ورغبته في منادمتك وحتى نحرض سويًا على تحقيق هذا الحب في الله الذي يثبتته إفشاء السلام.

فالسلام هو التحية التي شرعها الله للمسلمين يحيي بها بعضهم بعضا وهي تحية ذات شرف وفضل لأنها من عند الله لا من عند غيره وهي كما وصفها الله بمباركة طيبة. قال تعالى: ﴿... فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ...﴾ [سورة النور: ٦١] ، والسلام اسم من أسماء الله تعالى وفي جعله تحية الإسلام ذكر الله تعالى وفي ذكره تعالى الخير، والبركة قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ...﴾ [سورة الحشر: ٢٣] ، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ...﴾ [سورة الأنعام: ١٢٧] ، فهي دار الله ودار السلامة التي أعدها الله لعباده المتقين، والسلام تحية الله تعالى لأهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَجِئْتَهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْتُهُمُ سَلَامٌ...﴾ [سورة الأعراف: ٤٤] ، وقال تعالى في وصفه نعيم أهل الجنة: ﴿لَهُمْ فِيهَا فِكَهٌ وَهُمْ مَبْدُوعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلِّمُوا لِلَّهِ مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة يس: ٥٧: ٥٨] ، وهي تحية الملائكة لأهل الجنة قال تعالى: ﴿... وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الرعد: ٢٤] ، وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا...﴾ [سورة الزمر: ٧٣] ، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءًا وَلَا تَأْتِيًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الواقعة: ٢٥: ٢٦] .

والسلام تحية الله في الدنيا لأنبيائه ولعباده الصالحين وكذلك تحية الملائكة لهم. قال تعالى في شأن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ

يَا بَشَرِي ... ﴿ [سورة هود: ٦٩] ، ويقول تعالى: ﴿ سَلِّمْ عَلَيَّ نُوحٍ فِي الْآلَمِينَ ﴾ [سورة الصافات: ٧٩] ، ويقول تعالى: ﴿ سَلِّمْ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة الصافات: ١٠٩] ، ﴿ سَلِّمْ عَلَيَّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ [سورة الصافات: ١٢٠] ، ﴿ سَلِّمْ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة الصافات: ١٣٠] ، ﴿ وَسَلِّمْ عَلَيَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الصافات: ١٨١] .

وعن عائشة -رضي عنها- قالت: "قال رسول الله ﷺ يوماً: يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقالت: **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ورحمة الله وبركاته" وفي الصلاة التي هي أم العبادات يفرض على المصلي أن يسلم على النبي ﷺ وعلى نفسه وعلى المؤمنين وعلى عباد الله الصالحين فيقول في تشهده: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين... وختام الصلاة يقول بيخا ويسارا "السلام عليكم ورحمة الله"^(١).

وإذا كانت غاية السلام إزالة كل ما يدعو إلى تعكير صفو الجماعة المسلمة، فمن ثم فإن سلامة الصدر هي خير معين على توحيد قلوب المسلمين وتوثيق العلاقة بينهم، ومن ثم فإن الجماعة المسلمة تقوم على عواطف الحب المشترك والود الشائع والتعاون المتبادل، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة الحشر: ١٠] ، وعن عبد الله ابن عمرو "قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان، قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال التقى النفي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد".

(١) محمد محمد الشريف، صلاح الأمة على هدي السنة، دار الصحوة للنشر، ص ١٧.

لذلك كان من حرص الإسلام على دوام توثيق هذه العلاقة التحذير من كل ما يدعو إلى تقويضها ويتمثل هذا التقويض في "النجوى" التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة المجادلة والتي هي باب من أبواب الشيطان الذي عن طريقه يبث البغضاء بين الجماعة المسلمة ويفت في عضدها لهذا قال الرسول ﷺ: "إن الشيطان قد ينس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكنه لم يبأس من التحريش بينهم". ويصف الله سبحانه وتعالى هذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُبَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة المجادلة: ١٠]، وإنها صفة من صفات اليهود والمنافقين الذين نهوا عنها ولم ينتهوا ولكن الله علم جماعة المؤمنين ألا يسلكوا هذا المسلك، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى إثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه"^(١).

ومن منطلق توجيهات النبي ﷺ في بيان حق المسلم على المسلم تتبج بقية الحقوق: "النصح له" ويقول الله تعالى في ذلك: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ [سورة التوبة: ٧١] ويقول الرسول الكريم ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"^(٢).

"السعي في حاجته" وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم

(١) البخاري بحاشية السندي، ج٤، كتاب الاستئذان ن باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة، ص ٩١.
(٢) البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن تحب لأخيك ما يحب لنفسه، ج١، ص ٥٦، ٥٧.

كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم
القيامة^(١).

"كف الأذى عن المسلم" فيقول الرسول ﷺ ناصحا المسلمين "المسلم
من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"^(٢)، فكف
الأذى عن المسلم حق من حقوق الأخوة في الله.

"نصر المظلوم" وحتى لا تضيع الحقوق وتنتشر الفوضى ويأكل القوي
الضعيف فقد أمرنا النبي ﷺ بنصرة المظلوم والوقوف بجانبه حتى يعود الحق إلى
صاحبه فقال ﷺ: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما"، وفي نصرة المظلوم حتى يأخذ
بحقه والأخذ على يد الظالم حتى يكف عن جنائته حفظا لنظام المجتمع وحماية
الضعفاء من جيروت الأقوياء "عدم التقاطع والهجران"، عن أبي أيوب الأنصاري
رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال محذرا من الخصام والهجر بين المسلمين: "لا يحل
لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما
الذي يبدأ بالسلام".

"عدم احتقار المسلم والتنقص منه" مادام المسلمان قد اجتمعا على
طاعة الله فلا ينبغي الواحد منهما أن يحتقر أحاه أو يعيبه أو ينتقص من شأنه
فهذه آفة مدمومة نهى عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ...﴾ [سورة الحُجُرَات: ١١].

"الدعاء للمسلم" ويحض الرسول ﷺ على ذلك فيقول: "ما من مسلم يدعو
لأخيه في ظهر الغيب إلا قال الملك: ولك مثل ذلك"^(٣).

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وعلى الذكر، ج٤،
ص ٢٠٧٤.

(٢) البخاري بحاشية السندي، ج١، ص ١١.

(٣) مسلم، م، ج١٧، كتاب الفكر والدعاء والتوبة والامتناع، باب فضل الدعاء للمسلمين، ص ٤٩.

"ستر المسلم لأخيه المسلم": يقول الرسول ﷺ: "من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة".

"رد غيبة أخيه المسلم": يقول ﷺ: "من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه الناريوم القيامة".

"عفو المسلم عن أخيه": يقول الله تعالى في ذلك: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٩]، ويقول تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة الشورى: ٤٣]، ويقول الرسول ﷺ: "إنما أنزل هذا العفو من أخلاق الناس أي تعفوا عن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك".

"الوفاء والإخلاص": يقول الله تعالى: ﴿... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَثْوًى لَكُمْ﴾ [سورة الإسراء: ٣٤]، ويقول الرسول ﷺ محذراً من عدم الوفاء في حديثه الشريف: "أربع من كن فيه كان منافقاً...^(١)".

دور الداعية في توثيق روابط الأخوة بين المسلمين:

يجب أن يدرك الداعية المسلم أنه من السهولة أن يسمع له الناس، ولكن من الصعوبة بمكان أن يعمل معه هؤلاء الناس لأن الاستماع أمر محبوب إلى النفس ومن الممكن أن يدفع لك الناس اشتراكاً مادياً، لكن من الصعوبة أن يشتركوا معك في قول الحق، فطريق الدعوة ليس شعارات ولا هتافات أو مظاهرات كلامية.

(١) مسلم، ١، ج ٢، باب خصائل المنافق، ص ٤٦.

وإنما هي علم دؤوب متواصل يهدف إلى نقل الناس من المحيط الأسن إلى المحيط الهادي ومن البحر الأسود إلى البحر الأبيض، وهذا يحتاج إلى عاطفة قوية طاهرة ليستعذب حلاوتها ويتذوق شهادها ويأنس إليها وبها، وصدق رسول الله ﷺ إذ يوجهنا إلى هذه المعاني الجليلة فيقول عمر بن الخطاب سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لكانتهم عند الله... (١)".

وإذا أراد الداعية أن يولف بين قلوب المدعوين فعليه أن يسلك هذه المبادئ:

أولاً: شعور المدعو أنك تدعوه إلى مبدأ لا إلى نفع شخصي، ولنا في أنبياء الله الأسوة الحسنة فكل نبي دعا قومه بين لهم أنه لا يريد من وراء دعوتهم جزاء ولا شكورا، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَلَمِينَ﴾ (سورة الشعراء: ١٠٩) .

ثانياً: شعور المدعو أنك حريص عليه تحب له الخير، ألم تر ما قاله كل رسول ونبي لقومه: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة الشعراء: ١٣٥) .
ثالثاً: عدم تعنيفه ولو بالكلمة، مع الرفق به.

رابعاً: أن تدنيه منك وتلاطفه وتهش في وجهه ولا تتبع عوراته.

ومن حق المسلم على المسلم "التكافل"، ويعتبر هذا الحق على رأس هذه الحقوق وأهمها حيث إنه من السهل على الإنسان القيام بالحقوق السابقة كاملة لأنها لا

(١) الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، ج٤، باب الترغيب في الحب في الله تعالى، ص ٤٨، نسبة لأبي داود.

تكلفه عناء ماديا، لكن من الصعب عليه أن يتكلف لأخيه من الناحية المادية وهذا ما يضع هذا الحق في المرتبة الأولى من حقوق المسلم على أخيه المسلم.

والتكافل كما جاء في مختار الصحاح في باب "كفل": الكفل: الضعف قال الله تعالى: ﴿... يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ...﴾ [سورة الحديد: ٢٨]، وقيل إنه النصيب، وذو الكفل اسم نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو من الكفالة، "والكفل" أيضا ما "اكتفل به الراكب وهو أن يدار الكساء حول سنام البعير ثم يركب ومنه حديث إبراهيم قال: يكره الشرب من ثلثة الإناء ومن عروته قال: يقال إنها كفل الشيطان" والكفيل: الضامن وقد كفل به يكفل بالضم "كفالة" و"كفل: عز بالمال لغريمه. وأكفله المال ضمن إياه و"كفل: إياه بالتخفيف: "تكفل" هو به من باب نصر ودخل، و"كفله" إياه "تكفيلًا" مثله و"تكفل" بدينه و"الكافل" الذي يكفل إنسانا يعوله ومنه قوله تعالى: ﴿... وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا...﴾ [سورة آل عمران: ٢٧] وقرئ "كفلها" بكسر الفاء و"الكفل" بفتحين للدابة وغيرها.

المعنى اللفظي للتكافل الاجتماعي:

يقول الشيخ محمد أبو زهرة^(١): يقصد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللفظي أن يكون أحاد الشعب في كفالة جماعتهم وأن يكون كل قادرا أو نبي سلطان كفيلا في مجتمعه يمدده بالخير وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الأحاد ودفن الأضرار ثم في المحافظة على دفع الأضرار عن

(١) محمد أبو زهرة، للتكافل الاجتماعي في الإسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، ص

البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة ولعل أبلغ تعبير جامع لمعنى التكافل الاجتماعي قوله عليه الصلاة والسلام: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"^(١). والتكافل الاجتماعي في مغزاه ومؤاده أن يحس كل واحد في المجتمع بأن عليه واجبات لهذا المجتمع يجب عليه أداؤها وأنه إن تقاصر في أداؤها فقد يؤدي ذلك إلى انهيار البناء عليه وعلى غيره وأن للفرد حقوقاً في هذا المجتمع يجب على القوامين عليه أن يعطوا كل ذي حق حقه من غير تقصير ولا إهمال. والتكافل الاجتماعي يوجب سد حاجة المحتاجين ممن لا يستطيعون القيام بعمل يسد عجز العاجزين ويهيئ العمل للقادرين ويربي النشأ تربية تظهر القوي والمواهب والذين يخرجون إلى الحياة وقد فقدوا الآباء والذين يعجزون بعد القدرة من العاملين فعلى المجتمع أن يسهل لهم الحياة كفاء ما قدموا من خدمات وإن التكافل الاجتماعي يوجب على كل قوى المحافظة على سلامة الأحاد ليسير في قافلة المجتمع العاملة".
 "فالتكافل ارتباط متداخل هدفه الإبقاء على نقاوة المجتمع وصيانة نفسيات أفرادها والحفاظ على المحبة باعتبارها لحمه النسيج الاجتماعي في الإسلام"^(٢).

مصادر التكافل الاجتماعي:

أولاً: الزكاة؛ تعتبر أعظم مورد من موارد التكافل الاجتماعي وهي الواجب الأول على الدولة بالنسبة للفقراء، ولأهمية الزكاة فقد كان رسول الله ﷺ يرسل ولاة الصدقات إلى القبائل التي كانت تدخل في الإسلام لكي يجمعونها وقد جاء في وصاياه ﷺ "إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا غلاماً بما يصنع أغنياؤهم إلا وإن الله يحاسبهم

(١) البخاري بحاشية السندي، باب تعارون المؤمنين بعضهم بعضاً، ج٤، ص ١٥٥ مسلم، ج٦، ص ١٦٦، ص ١٣٩.

(٢) أحمد العناني: أربعة أبعاد للتكافل الاجتماعي الإسلامي "مجلة الوعي الإسلامي" عدد ٢٤٨ مايو سنة ١٩٨٥، ص ٣٠ - ٣٥.

حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما". .. ويرى الفقهاء أن الزكاة فريضة اجتماعية تشطر من مال الغني قدرا معلوما يجمعه ولي الأمر جبرا عن صاحبه إن امتنع ويكون في تركته يؤخذ منها إن لم يسده في حياته ، وتكون الزكاة في الأموال والتجارة والمواشي والزروع.

ويقول الله تعالى في الحز على الزكاة: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿١٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [سورة المارج: ٢٤: ٢٥]، ويقول تعالى: ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُنَّ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُنَّ وَتُزَكِّيَهُنَّ بِهَا وَصَلَّى عَلَيْهِنَّ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٠٣]، ويقول سبحانه محذرا من عدم تقديم الزكاة: ﴿... وَوَيْلٌ لِّلْمُتَمَرِّكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾ [سورة نضلت: ٦: ٧] .

ثانياً: الصدقات: وهذه الصدقات تكون في عيد الفطر ليكون العيد بارا بالفقراء ويدفعها الغني لمن يعرف من الفقراء، روي عن النبي ﷺ أنه قال: "إن مما يلحق المؤمن عمله وحسناته بعد موته علما نشره. أو ولدا صالحا تركه، ومصحفا ورثه ومسجدا ببناء، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته".

ثالثاً: الكفارات: وهي عقوبات قدرها الشارع الحكيم على: من أفطر في رمضان عاجزا عن الصيام، ومن حلف على أمر يريد فعله ثم حنث في يمينه، ومن تعمد الإفطار في رمضان وهو قادر على الصيام، ومن افترى على نفسه وقال إن امرأته كاهمه في التحريم ولا شك أن هذه الكفارات تسد حاجة الفقراء الذين يطعمهم من فرضت عليه الكفارة...".

رابعاً، النذر: قال تعالى: ﴿يُؤْتُونَ بِالنَّذْرِ...﴾ [سورة الإنسان: ٧]، ولنتعرض لهذا المورد ببعض التفصيل: فالنذر قرية من القرب، وعبادة يبتغي بها وجه الله، وسبيل

من سبل البر بالمحتاجين، والأدلة من الكتاب والسنة قائمة على صحته وشاهدته على مدح فاعله، ومتظاهرة على أنه من جملة الطاعات التي يتقرب بها إلى رب السموات، وقد كان النذر في الشرائع القديمة قريبة كما هو في شرعة الإسلام قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا... ﴾ [سورة آل عمران: ٣٥] أي خالصا لوجهك، فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، وقال تعالى: ﴿... فَأِمَّا تَرِينَّ مِنَ ابْنِهِ إِحْدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٢٦] والآيتان صريحتان في أن النذر كان مقررا في الشرائع السالفة قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أقره وهذب حواشيه ونظم أصوله حتى يتمخض للعبادة الخالصة لوجه الله تبارك وتعالى، قال عز وجل: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (١٧) [سورة البقرة: ٢٧٠] .

روى أحمد عن كردم بن سفيان: "أنه سأل رسول الله ﷺ عن نذر نذره في الجاهلية، فقال له: الوثن أو لنصب؟ قال لا، ولكن لله فقال أوف لله ما جعلت"، وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: "من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه" (١).

مشروعية النذر:

هو مشروع بالكتاب والسنة، ففي الكتاب يقول تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا... ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٠] . ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُؤْتُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [سورة الحج: ٢٩] ويقول تعالى: ﴿يُؤْتُونَ بِالْأَنْذَارِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ٧] ، وفي السنة يقول ﷺ: "من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه".

(١) البخاري، كتاب الإيمان والنذر، باب النذر، في الطاعة، ج ٢٥، ص ٨٠.

متى يصح ومتى لا يصح :

يصح النذر وينعقد إذا كان قربة يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى ويجب الوفاء به، ولا يصح إذا نذر أن يعصي الله، ولا ينعقد كالنذر على القبور، وعلى أهل المعاصي، وكان ينذر أن يشرب الخمر أو يقتل أو يترك الصلاة أو يؤذي والديه، فإن نذر ذلك لا يجب الوفاء به بل يحرم عليه أن يفعل شيئاً من ذلك، ولا كفارة عليه لأن النذر لم ينعقد، يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لا نذر في معصية"^(١)، وقيل: نجب الكفارة زجراً له وتغليظاً عليه^(٢).

خامساً: الغنائم؛ والغنائم هي ما يقع تحت أيدي الغزاة المسلمين من أموال المشركين وأسلحتهم وأمتعتهم وغير ذلك من الممتلكات إذا حاربوهم وانتصروا عليهم^(٣)
يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِئِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْفَتْحِ أَجْمَعِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ فَرِحْتُمْ بِمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ وَلَمْ تَحِلَّ لَاحِدٌ مِنْ قَبْلِي وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ طَيِّبَةً طَاهِرًا وَمَسْجِدًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ أُدْرِكْتَهُ الصَّلَاةُ صَلَّىٰ حَيْثُ كَانَ وَنَصَرْتِ بِالرَّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةٍ شَهْرًا وَأَعْطَيْتِ الشَّعَاعَةَ.

سادساً: الوقف؛ يقول الرسول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعوله"، وكان أول واقف في الإسلام هو عمر بن الخطاب.

(١) أبو داود، كتاب الإيمان والنذور، باب من رأى عليه كفارة إذا كان في معصية، ج٣ ص ٢٢٩.

(٢) السيد سابق فقه السنة، ج٢، دار الفتح للإعلام العربي، ص ٧٢.

(٣) عيد المنصف محمود عبد الفتاح، التنمية والعدالة والتكافل الاجتماعي في الإسلام، مؤسسة روز اليوسف، ص ٦٥.

سابعاً، العمل: يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَتَابِعِهَا...﴾ [سورة الملك: ١٥] ، ولقد قرر النبي ﷺ: "إن من الذنوب ما لا يكفره إلا السعي في طلب الرزق".

ثامناً، الهدى: وهو كل ما يهدي إلى الحرم من الإبل أو البقر أو الغنم قال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَبِيرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ...﴾ [سورة الحج: ٢٦] .

تاسعاً، الوليمة في النكاح: عن أنس رضي الله عنه قال ما أولم رسول الله ﷺ على شيء من نسائه ما أولم على زينب: أولم بشاة^(١).

صور من التكافل الاجتماعي:

أ - كفالة الموسرين من الأقارب: لقد حارب الإسلام البطالة وحث على العمل حتى لا يكون الإنسان عالة على غيره وحتى يسعى على نفسه وعلى عياله ويوفر له ولهم القوت.

ويوصي الله تعالى بذلك في قوله تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى...﴾ [سورة النحل: ٩٠]، ويقول تعالى: ﴿...وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ...﴾ [سورة النساء: ١]، ويقول سبحانه: ﴿...وَأَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ...﴾ [سورة الإسراء: ٢٦]، ويقول الرسول ﷺ: "بر الوالدين والأقارب واجب. وقال: أمك وأباك وأختك وأخاك ومولاك الذي يلي ذلك حق واجب ورحم موصولة".

والإسلام يأمر بالإنفاق على الأقارب والمساكين وابتداء السبيل، وقد جعل الله ذلك حقاً يجب أدائه، وقد اختلف العلماء في تحديد ذوي القربى الذي يجب الإنفاق

(١) البخاري، كتاب النكاح، باب من أولم على بعض نسائه أكثر من بعض، فتح الباري، ج-٩، ص ٢٢٧، ٢٣٨.

عليهم فقيل المراد بالآية الكريمة "وأنت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل..." ما يتعين من صلة الرحم والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه"، ويقول الإمام مالك رحمته الله: إن القرابة التي توجب الإنفاق هي قرابة الأبوين والأولاد المباشرين فتجب نفقة الولد العاجز عن الكسب على أبويه، ونفقة الأبوين على الولد إذا كان قادرا وكانا فقيرين.

أما الإمام الشافعي فرأيه أوسع قليلا، هو أن الأصول من الآباء والأجداد والجدات تجب نفقتهم على فروعهم والفروع من الأولاد وأولاد الأولاد تجب نفقتهم على أصولهم، وإن كان هذا الرأي لا يمثل الفقه الإسلامي كاملا.

والحنفية يرون أن القرابة التي توجب النفقة هي القرابة المحرمة، أي القرابة التي تحرم الزواج فالأعمام والعمات والأخوال والخالات تجب نفقتهم على أقاربهم ولكن لا تجب نفقة ابن العم على ابن عمه.

أما الإمام أحمد بن حنبل فهو يعم القرابة كلها بلا استثناء فكل من يرث الفقير العاجز عن الكسب إذا مات غنيا تجب عليه نفقته في حالة عجزه، لأن الحقوق متبادلة، والغرم بالغنم، والميراث يمتد فيشمل القرابة كلها، سواء أكانت قرابة قريبة، أم كانت قرابة بعيدة، وهو المعمول به في أكثر البلاد العربية.

ب - النفقة على الضعفاء: يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "أبغوني في ضعفائكم، إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم"، وفي ذلك يقول الشيخ أبوزهرة: "إذا لم يكن في القرابة قاصيها ودانيها من يستطيع الإنفاق على الفقير العاجز فعندئذ ينتقل الوجوب من الأسرة الصغيرة إلى الأسرة

الكبيرة وهي المجتمع ممثلاً في الدولة التي تحميه وتتسق بين قواه وتقوم بالقسط فيه وتنفذ التكافل الاجتماعي فيه على أكمل الوجوه.

ج - الإيثار والتضحية، بما هو عزيز على النفوس في سبيل الآخرين فلا بد للتكافل من قوم يؤثرون على أنفسهم ويضحون بالغالي والعزيز عليهم فالمجتمع فيه الواجدون والمحرومون وإذا لم يؤثر الواجدون على أنفسهم ولم يضحوا بما يملكون لم يقيم التكافل ولم يتم التعاون، ويأتي هذا عن طريق التربية الخلقية للمسلم كما صورها القرآن الكريم، ومن صور التكافل الاجتماعي المسؤولية والرحمة حتى بالحيوان، فيقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لو عثرت بغلة في صنعاء لكنت مسئولاً عنها لما لم أسولها الطريق".

د - كفالة اليتيم، يقول الله تعالى في التحذير من عدم إكram اليتيم والاعتداء عليه: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [سورة الفجر: ١٧]، ويقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالذِّبْرِ ۖ فَنَذَلَكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [سورة الماعون: ٢٢] وفي الحض على إكram اليتيم وكفاله يقول تعالى: ﴿... وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتِيمِ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا مِنْهُمْ فَأَخْوَانَكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٠].

وهناك الكثير من صور التكافل بين الفرد والجماعة، وبين الفرد ونفسه، وبين الأمم المسلمة.

دور الداعية في العمل على نشر التكافل بين أفراد المجتمع:

يعلن بعض الدعاة الذين لم يدرسوا أصول الإسلام دراسة وافية أنه دين صلاة وصوم لأن عنوانه المساجد والمساجد دور للعبادة ومن عرفها لا يعرف شيئاً عن نظام الدنيا ولا يقف على أمراض المجتمع غير أن الداعية الحصيف المطلع الخبير بشئون الدين الإسلامي يرى أن الدين جاءه بسعادة الدنيا والآخرة وأنه أول دين أسس مبدأ التكافل الاجتماعي ولأن الداعية طبيب يقف عند رأس المريض لا يتركه حتى يشفى من دائه وخادم ساهر بجوار الأسرة حتى يهين لها وسائل العيش والحياة المستقرة وإنسان كريم نسي نفسه وذكر غيره لذا وجب عليه تفقد أحوال المحيطين به ممن هو مريض أو معسر فيقف خطيباً في الناس فيحثهم على هذا المبدأ بأن يهين لهؤلاء فرصة عمل كما فعل ذلك الرسول ﷺ في قصة الرجل الذي جاء إليه ﷺ وسأله الصدقة فعلمه الرسول ﷺ أن يأخذ قاذوماً ويذهب إلى الجبل فيحتطب، بهذا استطاع النبي ﷺ أن يقضي على البطالة، وهذا نوع من أنواع التكافل. وأن ينفذ أسرة من الانهيار ويهين العيش الكريم لها في ظل حياة مستقرة سعيدة هذا أمر، والأمر الثاني الذي ينبغي على الداعية أن يأمر به الأغنياء هو إخراج زكاة أموالهم والمساعدة إلى دواعي الإحسان ووجود البر وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم لا ينفك عن عنه في صباح ومساءً^(١).

(١) وعن حديث الرسول ﷺ مع صاحب القنوم فقد روى أصحاب السنن: عن أنس ابن مالك رضي عن رجل من الأنصار، أتى النبي ﷺ فقال: أما في بيتك شيء؟ قال: بلى، جلس نلبيس بعضه ونبسب بعضه، وقعب شرب فيه الماء، قال: أنتقي بهما... فاتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ وقال: من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا أخذها بدرهم، قال: من يزيد على درهم؟ مرتين أو ثلاثاً، قال رجل: أنا أخذها بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين، وأعطاهما الأنصاري، وقال: اشتر بأحدهما طعاماً وانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قانوماً فانتني به... فقد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده، ثم قال له: "أذهب فاحتطب وبيع... ولا أرتك خمسة عشر يوماً" فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم: فاشترى ببعضها ثوب، ووبعضها طعاماً... فقال رسول الله ﷺ: "هذا خير لك من أن تحيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة؟ إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي قدر متقع، أو لذي غرم مقطوع، أو لذي دم موجع".

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالْأَتْمَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٤].

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فقد ضرب لنا مثلا رائعا في بث روح التكافل بين أفراد المجتمع، وهذا درس للدعاة ينبغي أن يقتدوا به فلقد حدث أن رأى رسول الله ﷺ أحد هذه المناظر الحزينة فشق عليه مرآها فجمع المسلمين ثم خطبهم فذكرهم بحق الإنسان على الإنسان وخوفهم بالله واليوم الآخر وما زال بهم حتى جمعوا ما أغنى وستر، عن جرير قال: "كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاء قوم عراة مجتأبي النمار مشقوقى الملابس عامتهم من مضر فتمعرو وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة - تغير وحزن - فدخل ثم خرج فأمر بلالا فاذن وأقام الصلاة ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [سورة النساء: ١٠] و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَنْظُرْ نَفْسًا مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ...﴾ [سورة الحشر: ٢١٨]، ثم قال ليتصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمره، قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه أن تعجز عنها بل لقد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة أي صفحة مطلية بالذهب، فقال رسول الله ﷺ: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا"^(١).

(١) معلم، ٦م، ج١٦، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ص ٢٢٦.

الخاتمة

وتشتمل على أهم التوصيات والنتائج:

أولاً: التوصيات:

وبعد بيان أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث فبأي شيء أقدم هذه التوصيات التي استفدتها من دراستي بهذا البحث؟.

- ١- ينبغي العناية التامة بحفظ القرآن الكريم حفظاً جيداً ودراسته دراسة علمية لأنه أساس عمل الداعية ومن ثم أوصى الدعاة إلى الله تعالى بدوام حفظ القرآن الكريم فهو مصدرهم الأول في خطبهم أو أبحاثهم أو محاضراتهم فمنه يستنبطون المناهج والوسائل والأساليب وهو سر نجاحهم وفوزهم في الدارين.
- ٢- أوصى بمزيد الاهتمام بدراسة السور القرآنية دراسة موضوعية متخصصة لاستنباط ما فيها من المناهج والأساليب التي سلكها الرسل عليهم السلام في تبليغ الدعوة إلى كل المجتمعات. والعمل على الاستفادة من هذه الدراسات القرآنية في النهوض بمستوى الدعوة والدعاة وذلك بوضع الخطط والمناهج على أساسها.
- ٣- أوصى إخواني الدعاة بالبعد عن كل الصراعات الحزبية والسياسية والأهواء الذاتية حتى تثمر دعوتهم، وتؤثر كلمتهم ويفرغوا لمضاعفة نشاطهم في وسط مجتمعاتهم.
- ٤- أناشد كل الجهات المعنية بشئون الدعوة وإعداد الدعاة بالتركيز الشديد على النهوض بالمستوى العلمي والثقافي في إعداد الدعاة، كما أناشد

المسؤولين عن وضع المناهج، بربط مناهج الدعوة في كليات المعاهد الإسلامية قاطبة بحيث يكون منهجا علميا موحدًا يساهم مساهمة علمية في تطوير الدعوة علميا ونظريا.

٥- أوصى الدعوة أن يحرصوا على الاهتمام بدراسة العلوم الدينية والدنيوية وخاصة العلوم العصرية، كعلم الحاسب الآلي، فذلك مما يعود على الدعوة بالنفع وعلى الدعوة بمسايرة العصر.

٦- الاهتمام بتكثيف الجهود لعقد الدورات التدريبية المطورة للدعاة وتحسين أوضاعهم الاقتصادية، والمعنوية مع الاهتمام بإمدادهم بالدراسات البيئية للمجتمعات المتنوعة، فإن ذلك يضمن لهم عملية النهوض بالدعوة، ولاسيما ونحن في عصر التحضر والرقي، والدعاة في أمس الحاجة إلى مواكبة هذا التحضر.

٧- واجب على الدعوة أن ينتفعوا بمنهج أنبياء الله في دعوتهم لأقوامهم ومعرفة أحوال المجتمعات التي يدعون فيها، فيعملوا على إصلاح هذه المجتمعات بالدعوة الحكيمة والإرشاد السديد، ويعالجوا أمراض هذه المجتمعات برفق وصبر، وقوة عزيمة وثبات على الحق فلا يضعفوا في مواجهة العقبات التي تعترضهم وعلى قدر نجاحهم في تقويم الانحراف وهدم الفساد ونشر الصلاح، يكون نجاحهم في هذا الطريق.

٨- على الدعوة أن يقتدوا بمنهج القرآن الكريم ويتخذوه زادا لهم في إثبات القضايا الأساسية للدعوة إلى الله وترسيخها في قلوب وعقول المدعوين.

٩- لابد للدعاة من الجمع بين القول والفعل، فلا تكون أفعالهم مخالفة لأقوالهم فهم قدوة الناس في الأفعال والمسلمون ينتظرون منهم صحة إسلامية مباركة تأخذ بأيدي المجتمعات إلى النجاة.

١٠- ينبغي للدعاة التنوع في أساليب دعوتهم، فالداعي طبيب القلوب والنفوس وما أكثر تنوع القلوب التي يحتاج كل منها إلى ما يناسبه، فعلى الداعي أن يكون ملما بحال المدعوين وشئونهم حتى يضع الدواء مكان الداء فتثمر دعوته وتؤتي أكلها.

١١- إن ما يعانيه كثير من مجتمعاتنا من أمراض وعلل نفسية واجتماعية وأخلاقية واقتصادية وسياسية، قد تنتج عن غياب المنهج الدعوي المتكامل فلا سبيل لعلاج هذه العلل كلها إلا بالرجوع إلى هذا المنهج وتطبيقه في شتى وسائل الحياة.

١٢- ينبغي على الدعاة مراعاة الدقة والأمانة في الاستدلال بالقصص لمعالجة بعض موضوعات الدعوة، فإذا ما أرادوا سرد قصة في استدلال لهم فعليهم أن يعتمدوا على قصص القرآن الكريم ففيه تحقيق الغرض في الهداية والإرشاد.

١٣- على الداعي أن يستقي منهج دعوته من أساليب القرآن الكريم فينوع في الأسلوب حسب حاجة المدعو فلا يعتمد في دعوته على الترغيب فقط فيقطع المدعو في عفو الله وجوده فيقع في الاستهتار والمعاصي، ولا يعتمد أيضا على أسلوب التهيب فقط فيقنط المدعو من رحمة الله وإحسانه فيعيش في قلق دائم وخوف مستمر وربما كان ذلك حائلا يحول بينهم

وبين هداية السماء فتكون نتيجته عكسية، لذلك على الداعي أن يجمع بين أسلوبى الترغيب والترهيب وضرب الأمثال والقصص القرآني.

١٤- أوصى الدعاة بالألا يتشددوا أثناء أي حوار يجري بينهم وبين جمهور المدعويين وليكن حوارهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة والتي هي أحسن، فإن ذلك مما يرغب الناس في دعواتهم وجمع شتات قلوبهم، فنجدهم وقد التفوا حول هؤلاء الدعاة، واستجابوا لآرائهم.

١٥- كما أوصى أيضا بمراعاة الدقة في اختيار الدعاة المبعوثين من قبل الأزهر إلى شتى أقطار الأرض من أجل نشر الإسلام والتعريف به فيجب إعداد هؤلاء إعدادا علميا يتناسب وشرف الأمانة التي يحملونها وليكن هؤلاء البارزين والمتفوقين فكريا وسلوكيا وعمليا.

١٦- أباشد المسئولين عن الدعوة إنشاء جهازا عاما لتوجيه الدعاة إلى أقوم الطرق وأمثل المناهج لذلك ينبغي أن يكون القائم عليه من أرباب الفكر المستنير وأصحاب التخصصات في حقل الدعوة وتكون مهمته الرئيسية هي الدعوة النقية الخالصة من شوائب الأهواء والأغراض، ويعبده عن أي مؤثرات محلية أو سياسية ولعل مجمع البحوث الإسلامية هو خير من يقوم بهذا الدور.

١٧- وفي الختام أوصي بمضاعفة الجهود المبذولة من أجل النهوض بالدعوة والدعاة، عن طريق وضع الخطط والمناهج المعتمدة على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.